

## الصحافة اليسارية في مرحلة مصيرية

محمد هويدي

« صدر للدكتور رفعت السعيد ، أوائل ١٩٨٢ ، الجزء الثاني من  
دراسته الصحافة اليسارية في مصر . »

وقد تصدر الكتاب اهداء الى رجل .. شجرة عجوز راسخة أبدية  
الاصرار والعتاء .. المناضل « محمد حسن جاد » الذي دفع أكثر من  
سبعين عاما ، ومازال ، من عمره دفاعا عن :

« حرية الانسان العربي .. وحقه في التعبير »

ويحمل الهداء روح الكاتب ، بلاضافة الى ما ينطوي عليه من  
حسن انساني يتسم بالموضوعية .

صدر الجزء الاول من دراسة د . رفعت عن الصحافة اليسارية في مصر ١٩٧٤ وأعيدت طباعته ١٩٧٧ . . . أرخ ، فيه فقط ، للصحافة الماركسية العلنية بين عامي ١٩٤٨/٢٥ . . تناول بالتحليل الصحف الماركسية التي ظهرت في تلك الفترة « العصر . . شبرا . . حرية الشعوب . . التطور . . الفجر الجديد . . الضمير . . الجماهير . . » ومن خلالها استطاع الفكر الماركسي ان يشكل احد طرفي الجدل الفكري على ساحتنا المصرية مما اثمر في النهاية عن بعض الاسس الفكرية التي قامت عليها استراتيجية مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ .

ويحدد د . رفعت اسلوب تناوله بالدراسة لهذه الصحف :

« . . انما تتناولها من حيث المحتوى الفكري والسياسي ومن حيث انتمائها للحدث التاريخي العام في المرحلة موضوع الدراسة كذلك تتناولها من حيث هي كائن . . له نشأة وله نهاية وبينهما معركة محتدمة لابد ان يكون لها اطراف متعددة . . »

والفترة التي يتناولها الجزء الثاني بالدراسة تتسم بأهمية خاصة لسببين :

١ - تبدأ هذه الفترة من عام ١٩٥٠ . . كان يناير منه ، بداية حكم حزب الوفد ، بمثابة انهاء لعهد الارهاب السياسي الاسود الذي بدأ باعلان الاحكام العرفية في ١٥/٥/١٩٤٨ .

٢ - تنتهي هذه الفترة بقيام ثورة يوليو . . التي تعد مرحلة جديدة تناولت بالتغيير كل مجالات الحياة في مصر ، وقد كان لها اسلوب مميز خاصة مع الصحافة اليسارية التي كان يسمح بها في اطر محددة سلفا لذا فالذي استمر صدوره ، من هذه الصحافة ، بعد ثورة يوليو ( المعارضة . . الملايين ) تغير اسلوب ، وكيفية ، تعاملها مع السلطة .

ووعد د . رفعت بان يتناول هاتين الصحيفتين ، في أعداهما الصادرة بعد ثورة يوليو ، بالدراسة في الجزء الثالث من دراسته الذي لم يصدر بعد .

وكان الاساس في اختياره لما تناوله بالدراسة من صحف يسارية ، هو توجه الجريدة لاصحاب الكلمة بها . ، وعلى هذا الاساس استبعد مجلة ( الكاتب ) التي اصدرها ( يوسف حلمي ) لتكون لسان « اللجنة المصرية لانصار السلام » رغم أنها صدرت بدعم مباشر من حديثو ( الحركة الديمقراطية للتحرير الوطني ) وكوادرها ماركسية « كمال عبد الحليم .. ابراهيم عبد الحليم .. زكي مراد .. زهدي .. فؤاد حداد .. حسن فؤاد و ... » ، ذلك لأنها لم تكن مجلة طبقية الانتماء ، بل كانت تتحاشى أية طبقية لتبقى شمولية الطابع .

وعلى هذا فقد اقتضت الدراسة على الصحف :

« البشير .. المستقبل .. المعارضة .. الملايين » ..

وقد كان وراء هذه الصحف رجل ، ومنظمة ، الرجل : « فتحي الرملي » والمنظمة : « حديثو » .

وقد أحدثت الصحافة اليسارية ، بين عامي ١٩٥٢/٥٠ ، في مصر دويا أربع اليمين المصري ، وكان الحكم في يد أحد الاحزاب الليبرالية .. حزب الوفد الذي طالما دعى ، بناء على ليبرالية ، الى حرية الصحافة ، وهنا يظهر التناقض ، بين دعوته وممارسته في ضرب الصحافة المعارضة .. خاصة اليسارية منها ، بالاضافة الى :

[ العزف على نغمة العداة للشيوعية ]

وضاعف من اجراءات الوفد المضادة للفكر السياسي ضغوط تمثلت في مجموعة من الوثائق المزورة قامت شخصيات هامة بترويجها ، من

بينها : ( هيكمل باشا قطب حزب : الاحرار الدستوريين ) تلك الوثائق المزورة تدين ( النحاس باشا بالتعامل مع السفارة السوفيتية بالقاهرة كما لعبت الصحف الرجعية المصرية دورا في الضغط على الوفد لاتخاذ موقفه المتناقض مع دعوته الى حرية الصحافة .. نشرت جريدة ( اخبار اليوم ) ج ٢٠/١/١٩٥١ ما يوحي بتواطؤ الوفد مع الشيوعية المصرية : ) علمت الهيئات المسئولة ان تعليمات جديدة من موسكو ارسلت الى العناصر التي تحرك النشاط الشيوعي في مصر وهذه التعليمات تقضي بالترام الهدوء في الوقت الحاضر وعدم القيام بأي شيء . ) .

وامام عوامل الضغط والتهديد شرعت حكومة الوفد في اضافة فقرة جديدة الى المادة الخامسة من المرسوم بقانون رقم ٩٨ لسنة ١٩٤٥ تهيء لسريان قانون ( التشرذم والاشتياء ) الذي وافق على مشروعه مجلس الوزراء في جلسة ١٠/٥/١٩٥١ ولقي معارضة جارفة من اكثرية اعضاء هيئة الوفد عبر عنها اهرام ٢٧/٥/١٩٥٠ ب :

( قال لنا مصدر مسئول ان اكثر اعضاء الهيئة الوفدية لا يزالون يعارضون قانون المشبوهين السياسيين ويرون انه تشريع غير دستوري وينظوي على تقييد للحريات العامة فضلا عن انه سلاح خطر في ايدي الحكومات الرجعية .. ) وكان لـ : ( فؤاد سراج الدين ) موقف بالغ الدلالة على ما اصاب حزب الوفد من انفصام .. عبر عنه بقوله : انه بوصفه سكرتيرا للوفد لا يرضى عن هذا التشريع ولكنه يؤيده كوزير للداخلية . وقد اجهزت المعارضة الشعبية تماما على هذا المشروع وتلا مشروع قانون « المشبوهين السياسيين » مشروع ( قانون الصحافة ) الذي قدمه ( اسطفان باسيللي ) ، وحوله صرح ( فؤاد سراج الدين ) بان هدفه اسكات الصحافة الشيوعية .

غير أن ما أرسته الصحافة اليسارية من أفكار هيأت الجماهير و ( حدتو ) للتصدي لمثل هذه القوانين و . . سقط مشروع ( اسطفان باسيلى ) .

ورغم الصراعات والازمات التي واجهت الصحافة اليسارية ، فقد كانت :

« سبيلا لانتشار واسع وغير محدود لهذه المنظمة ( حدتو ) التي دخلت الصراع الطبقي ضعيفة البناء محدودة العدد . مثل هذا التوجه العلني أدى أيضا الى استيعاب كوادر عديدة في مثل هذه الأنشطة » .

وعلى هذا فقد أدت دورها بالنسبة للتنظيم ، والاهم ساهمت مساهمة فعالة في ترسيخ الفكر التقدمي على المستوى الجماهيري . بعد هذه المقدمة التي عرضناها يبدأ د . رفعت بدراسة صحف الفترة ، ملخصا الظروف الموضوعية ، للواقع السياسي المصري ، التي صدرت في ظلها .

١ - عام ١٩٥٠ جاء بعد أربع سنوات عنيفة شهدت أعلى المد الثوري ثم انحساره تحت وطأة الاحكام العرفية والمعتقلات والتعذيب الوحشي .

٢ - اكتشفت السلطة الحاكمة أن مصر تزداد تمردا . . . توشك أن تغلت من أيديهم ، فأجرت انتخابات برلمانية أدت الى اكتساح الوفد لكل الاحزاب السياسية ، وشكل النحاس حكومته الاخيرة التي سقطت نتيجة لحريق القاهرة ٢٦/١/١٩٥٢ .

٣ - معاناة الحركة الشيوعية المصرية من الانقسامات التي تشل فعاليتها مما أدى الى اكتشاف ثوري الكلمات مرارة الثمن ، وطول الطريق ، فيتراجعون . . . .

٤ - محاولة ( حدتو ) استعادة دورها معتمدة على مجموعة ضئيلة من كوادرها التي خرجت من المعتقلات تتلمس طريقا للعمل الثوري .

ثم يبدأ دراسته ل :

## ١ - البشير

كانت في البداية جريدة اقليمية تصدر في ( ميت غمر ) ولمدة عشر سنوات كان يتصدرها : [ نشر الثقافة والعلوم وتوطيد أواصر الصداقة بين جميع أبناء العالم لكي يعم الامن والسلام على الارض ] .

ومما نشرته تحت هذا الشعار بأخر أعدادها ٣٥٩ :

« ... احتفلت البلاد من أقصاها الى أقصاها بعيد الميلاد المجيد لليتها المحبوب وراعيها الصالح والبشير تنتهز هذه المناسبة السعيدة فترفع الى الاعتاب الملكية اسمى ... » واستأجر فتحي الرملي الجريدة بخمس جنيهات شهريا ، أصدر منها ثلاثين عددا ، هي موضوع الدراسة ، بدءا من العدد ٣٦٠ ( ١٤ ابريل ١٩٥٠ ) ، وانتهاء بالعدد ٣٩٠ ( ٢٥ نوفمبر ١٩٥٠ ) . . . لعودة البشير الى أصحابها تحت شعارها السابق . ورغم الطابع الماركسي للاعداد ، فقد كانت مساحة محدودة منها تحرر بواسطة صاحب امتيازها ، وقد خصص لمجاملات شخصية ذات طابع محلي مثل : ( عاد من اجازته الدكتور محمد صبري بيك حكيمباشي مستشفى الرمذ بميت غمر بعد أن ... ) .

وبالإضافة الى طابع فتحي الرملي الخاص ، الذي لا يرى ضرورة مناهضة النظام الرأسمالي ، الذي ميز غلافها بمساحات كبيرة من اللون الاحمر ، كان هناك ما فرضته ( حديثو ) من طابع ، لاشتراكها مع فتحي الرملي في اصدار معظم الاعداد الثلاثين ، هذا الاتجاه فرض سيطرته على معظم صفحاتها ، مستندا على قدرات عناصره على التحرير والتوزيع والتمويل .

وقد حملت الاثنا عشر عددا الاولى شعار ( مصطفى النحاس ) :

« من كذب بالامة او داخله فيها الشك فليس منا » وشاركت (حديثو) في المجلة تحت هذا الشعار فترة استبدل بعدها بشعار العدد الوحيد ، الذي أصدره فتحي الرملي ، من مجلة : ( النديم القصصي ) :

« الحقيقة هي أئمن ما نجاهد في سبيله »

ولم يكن ل : ( البشير ) مقر ثابت ، يقول ( مبارك عبده فضل ) :

« كنا نجتمع في قهوة بالقرب من المطبعة قبل موعد الطبع بيوم ونحرر المقالات ونحن جالسون معا في القهوة ، كل منا يكتب موضوعا ، ونستعرضه معا ، ثم نرسله للمطبعة » .

وكانت ( البشير ) تعاني من ضعف التمويل ، حتى أن كل عدد من أعدادها كان يحقق عجزا مقداره ثلاثون جنيها تغطية ( حديثو ) ، وظلت صفحاتها تتناقص من ١٢ صفحة تابلويد ، في بدايتها ، الى أربع صفحات فقط ، و . . كادت تحتجب ، الا أن أعضاء ( حديثو ) أنقذوا الموقف بنشاط كبير في التوزيع وجمع الاشتراكات والتبرعات في حملة تحت شعار : ( كل قرش تدفعه للبشير مسمار يدق في نعش الاستعمار ) .

وبهذا ارتفع عدد صفحاتها الى ثمانية ابتداء من العدد ٣٨٣ ( ٣٠/٩ ) ١٩٥٠ ، وتولت ( حديثو ) مسؤوليته ايضا مع الاحتفاظ لفتحي الرملي برئاسته ، وبالاتحافية ، وكان العبد الأكبر من عملية التحرير ، في البداية ، يقع على المسؤول السياسي للمنظمة جات ( جبهة التحرير التقدمية ) الدكتور ( عصام جلال ) . أما دور ( حديثو ) فقد برز في الجريدة ابتداء من العدد ٣٧٠ ( ١٩٥٠/٦/١٧ ) الذي كان عددا خاصا عن السلام تميز باخراج صحفي جديد لكوادر متمرسة على مختلف فنون

الصحافة ، وقد كانت قضية السلام أحد المعارك الرئيسية التي خاضتها  
( حديثو ) في ذلك الحين رافعة شعارات :

- الدفاع عن السلم دفاع عن العدل .
- الكفاح ضد الاستعمار كفاح ضد الحرب .
- اقضوا على الحرب قبل أن تقضي عليكم .

ثم تتوالى أسماء كتاب ( حديثو ) على صفحات ( البشير ) ، ابتداء  
من العدد ٣٨٢ ( ١٩٥٠/٩/١٦ ) . . . تسلم ( ضياء الدين بدر ) سكرتارية  
تحريرها . وتتصاعد جرعة الفكر الماركسي ، والحس الطبقي ، مع تتالي  
الاعداد ، وتتناول ظواهر الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي من  
وجهة النظر هذه . أما موقف الجريدة من الوفد فقد كان ، غالبا ، رد  
فعل لمواقف الوفد من قضايا الديمقراطية وحرية الكلمة ، فعلى سبيل  
المثال هناك موقف من ( فؤاد سراج الدين ) الاول تحت عنوان : ( احباط  
محاولة ) :

« حاول بعض موظفي قلم المطبوعات بمحافظة مصر أن يقفوا من هذه  
المجلة موقفا شاذا . . . . عرضنا الموضوع على معالي الوزير الحكيم الاستاذ  
فؤاد سراج الدين فلم يلبث أن وقف كعهدنا به مناصرا لحرية الصحافة  
وكرامة الصحفيين » وقد كان لـ : « البشير » موقف من الاغتيالات  
السياسية ، فقد علقت على اغتيال ( حسن البنا ) :

( . . . ) كنا نتمنى لحسن البنا الموت الادبي ، وكنا نعمل لهذا الغرض  
جاهدين جادين . . . نحن رغم هذا لا نقبل مطلقا أن تتولى الحكومة أو . . .  
تدبير حوادث الاغتيال لمعارضيهما ثم يكون في استطاعتهم ان يفلتوا من  
العدالة ) .



تلك مواقف ( البشير ) : هي نفس مواقف ( حديثو ) من كل القضايا المطروحة على الواقع المصري في تلك المرحلة الحاسمة من تاريخ مصر ، كما كان لها موقفها من قضايا التحرر العالمي . حيث نشطت للدعوة للنضال من أجل السلام العالمي أحد المحاور الأساسية لنشاط « حديثو » ، ففي العدد ٣٦٩ ثاني الأعداد التي حررتها ( حديثو ) :

« الدول الاستعمارية تتعجل الانتحار في أكبر مجزرة بشرية .. الشعوب الحرة تعلن الحرب على دعاة الحرب » .

كما احتفلت بعيد ( أول مايو ) ، ولهذا دلالة في ظل الظروف السياسية لتلك المرحلة . وتمعن حكومة الوفد في ممارساتها الخاطئة ، وتوجه ( البشير ) هجوما عنيفا ضد ( فؤاد سراج الدين ) بأخر أعدادها ٣٩٠ تحت عنوان : ( عسكري المطافىء ) : ( يقوم سراج الدين في هذه الأيام بدور عسكري المطافىء ، لا تكاد تشتعل حماسة الجماهير ضد الاستعمار وضد الرجعية حتى وينبري ويسلط عليها خراطيمه . وهذه الخراطيم تبدأ عادة في شكل بيانات ثم تندفق عند اللزوم في شكل قوات ضخمة من بلوكات النظام ، تطارد الجماهير بالهراوات : وغدا بالمدافع والمترليوزات ) وكانت تلك ذروة حملة ( حديثو ) ، على صفحات ( البشير ) ، في دفاعها عن كل ما يحقق للإنسان المصري حريته وكرامته ، وفي مناصرتها لحركة التحرر العالمي ، وكان لابد لـ ( الوفد ) أن يسكت صوت البشير : ولكن ، كما هو منشور بأخر أعدادها :

( يا رفيقي أنا وأنت وعمي

وابن عمي جماعة من عبيد

أنا أبكي وأنت تبكي ولكن

لن يفل الحديد غير الحديد ) .

ولم يكن نضال كوادر ( حديثو ) ، بالكلمة ، على صفحات البشير ،  
بمنأى عن المتاعب ، ففي العدد ٣٧٩ : على صفحته الاولى :

( قوة عن البوليس السياسي تهاجم ادارة البشير ومنزل رئيس  
التحرير ) .

ورغم هذا تواصل ( البشير ) الصدور ، حتى توقفها السلطة : لكن  
لدى الثوار ، دائما ، البديل : من أجل ...

## ٢ - المستقبل

هي صورة طبق الاصل من ( البشير ) ، مع استبدال الاسم بـ  
( المستقبل ) أيضا رأس تحريرها ( فتحى الرملي ) .

في البداية اعترضت وزارة الداخلية على رئاسته للتحرير .. اعتم  
بنقابة الصحفيين .. قدمته السلطة للمحاكمة بتهمة : التحريض على ...  
وبث ... و ... انصفه القضاء الذي مازال حتى السبعينات .. حتى  
الآن في صف سيادة القانون .. مازال الضمان الاكيد للثوار المصريين .  
وكان عددها الوحيد ، ٤ ديسمبر ( كانون اول ) ١٩٥٠ في ثماني صفحات  
تبلويد ، عنيفا في مواجهة السلطة .. عرض قصة وقف ( البشير ) سعد  
من حملته ضد ( فؤاد سراج الدين ) .. ارتفع فيها صوت الانتماء  
الطبقي .. و .. وكانت لهجتها ماركسية صافية .

وكان لـ : ( فؤاد سراج الدين ) ، عمدة كفر الجرايدة ، كما اسمته  
المستقبل ، تجربة مع كوادر ( حديثو ) .. ناصره وهو خارج الحكم ..  
ايدوا خطواته الايجابية نحو التحرر ، والديمقراطية ، ففشلت كل وسائله  
في اخماد صوتهم منذ ( البشير ) .. هو يعرف أنهم ، كما جاء في قصة  
مصادرة ( البشير ) على صفحات المستقبل :

( اذكياء لا يخدعون ، وشرفاء لا يرتشون ، لكن عمدة كفر الجرايده  
رجل داهية واسع الحيلة ، انه ليس دكتاتوراً عبيطاً . )

ويختتم فتحي الرملي حديثه بـ :

( عطلوا البشير ، أنشروا الارهاب ، افتحوا السجون ، أنصبوا  
المشائق ، اننا لكم بالمرصاد . . )

وأهم ما ميز ( المستقبل ) ، في عددها الوحيد ، هو ابراز أخبار  
النضال في لبنان والعراق وايران والسودان ، وقد كان هذا بداية لعلاقات  
خارجية لـ ( حديثو ) انتهت بالدعوة لعقد : ( مؤتمر شعوب الشرق  
الايوسط ) بالقاهرة الذي عاق انعقاده حريق القاهرة ١٩٥٢/١/٢٦ .

وكان لابد ان تصادر المستقبل ، وكان لابد من . . .

### ٣ - المعارضة

استطاع ( فتحي الرملي ) ان ينتزع من السلطة ترخيصاً بجريدة  
( المعارضة ) بناء على حكم لـ : ( السنهوري باشا ) ، كما استطاع ،  
بجهد جهيد ، أن يوفر لها تمويلاً ، ويجمع حوله للتحريض : ( عباس  
الاسواني . . محمد جلال . . جلال الحسيني . . مصطفى محرم . .  
أنور عامر . . أحمد أمين يونس . . الرسام : عبد العظيم ) ، وصدر  
العدد الاول الاربعاء ١٩٥٢/١/٩ . ويرى د . رفعت السعيد أن :

( الشيء المؤكد أن أفراد فتحي الرملي بالهيمنة على المعارضة قد جعل  
منها شيئاً مختلفاً عن البشير ) .

يقصد د . رفعت بهذا الاقلال من التوجهات الطبقية في ( المعارضة )  
إزاء تصاعد حملة النضال الوطني ، مع الاحتفاظ بالصوت المناهض بالسلام  
العالمي والمعادي للاستعمار الامريكى . واضح من توجيه فتحي الرملي

الجديد تمتعه بحس مرهف دقيق لطبيعة المرحلة ففيها ، كما يقول د. رفعت ، تصاعد . . . ( النضال الوطني المسلح ليلهب المشاعر الوطنية ويشغلها عما عدا معركة التحرير ) ورغم الاقلال من التوجه الطبقي بالعدد الاول ، يصدر العدد الثاني مليئا بمساحات بيضاء محت حروفها الرقابة ، وعلى الصفحة الاولى أسطورة فارسية ( الشمس والظلام ) تحكي :

( كيف انتصرت الشمس في صراعها مع الظلام ) بالتأكيد لا تخفى دلالة الاسطورة على القارىء خاصة قارىء ( البشير ) و ( المستقبل ) و ( المعارضة ) ويتعرض فتحي الرملي للملاحقة ، بعد حريق يناير ، مما يضطره الى الاختفاء ، ثم الاعتكاف ، ويرأس ( ابراهيم البعشي ) تحرير ( المعارضة ) ، ويظل فتحي معتكفا . . . في الحقيقة مختلفا .

وفي ٢٦ / ٣ / ١٩٥٢ يصدر العدد العاشر والاخير من ( المعارضة ) التي تعاود الصدور بعد ثورة يوليو . . . يصدر العدد الاخير وقد حزفت منه الرقابة الموضوعات التي تصدر الجريدة من أجل نشرها .

ويأخذ د. رفعت السعيد على ( المعارضة ) نشرها لبعض الاعلانات التي يمكن اعتبارها مضادة لخط الجريدة مثل :

( روبر و . . . يهنئون ملك ومملكة مصر والسودان بميلاد ولي العهد وأمير الصعيد صاحب السمو . . . )

ومواضيع مثل . . .

( يحبس زوجته في قفص كبير حتى لا يشاركه فيها أحد )

( من أجل حمودة تفتح كرش خمسة )

وقد كان صدور ( المعارضة ) في فترة وصلت فيها حكومة الوفد الى قمة أزمتهام مع حرية الكلمة ، وعلى صفحاتها جاء احصاء بعدد مرات مصادرة الصحف العربية من مختلف الاتجاهات الفكرية :

( الاشتراكية ١٢ ، آخر لحظة ٩ ، الملايين ٨ ، أخبار اليوم ٧ ، الكاتب ٦ ، روز اليوسف ٥ ، المصري ٣ ، الاهرام ١ ، البلاغ ١ ، الناس ١ ، اللواء الجديد ١ ) .

وكانت ( المعارضة ) هي الجريدة اليسارية الوحيدة التي استمرت في الصدور بعد حريق القاهرة ، ونالت شرف المناداة ، من خلال حملة صحفية ، بتأميم قناة السويس .

ثم يتناول د. رفعت السعيد ، بالدراسة ، جريدة ...

#### ٤ - الناس

في ذروة انطلاق الحركة الوطنية المصرية ، أبان الغاء معاهدة ١٩٣٦ الذي كان بمثابة إعلان حق الشعب المصري في الكفاح المسلح ، صدر أول أعداد ( الناس ) كمجلة يسارية ، وقد انعكس هذا الجو العام على العدد . . . يطالعنا بالعناوين التالية :

- حلف البحر المتوسط كارثة على الشعب .
- امريكا تعمل للسيطرة على العالم اقتصاديا وسياسيا .
- دماء المصريين تسيل في القتال برصاص الانكليز المجرمين .

ومنذ البداية تقدم ( الناس ) نفسها للقارئ من خلال طرحها لوظيفة لاعلام في مثل هذه الظروف :

« في غمرة الصراع الهائل تصدر الناس ، وليست جريدة الناس مشروعا صحفيا يريد القائمون بأمره اشباع هواية خاصة في أنفسهم ولكنها سلاح مرفوع نشرعه باسم الوطن في وجه اعدائه . . . مادام الشعب في مصر قد صمم على نيل حريته » .

وعلى صفحاتها يكتب ( مرسي الشافعي ) عن الصحافة العملية ، ويكتب ( زكي مراد ) عن نضال الشعب المصري مقرونا بنضال الشعب الإيراني ، وتركز « الناس » على نشاط « الطليعة الوفدية » وفي الوقت نفسه لا تخلو من تعريض بالحكومة الوفدية ومشاريع مدافعة عن مطالب العمال . ويطالعنا العدد الثالث من « الناس » ٣١ / ١٠ / ١٩٥١  
رمانشتات :

– ايها المواطنون الاحكام العرفية في الطريق .

– العمال والطلبة يعلنون تكوين اللجان الوطنية .

وكان تشكيل « اللجان الوطنية » هو اهم ما دعي اليه ، بالحاح ، في هذا العدد ، ورغم ما اخذته « الناس » من صبغة « طليعة الوفدية » ، فقد كان لابد لها ان تحجب ككل صوت حر في تلك المرحلة .

واخيرا يتناول د. رفعت السعيد ، بالدراسة :

## ٥ - الملايين

كان صاحب امتيازها ورئيس تحريرها « أحمد صادق عزام » . . شاب انسلخ عن طبقته لكرهه للاستعمار وللسرائي ، ولوقوفه في صف الجماهير الكادحة .

شارك في تحريرها ( مأمون الشناوي ) و ( حسين فهمي ) وازهدي الرسام الذي تولى الرسوم والتوضيب و ( صلاح حافظ ) الذي كان وقتها طالب طب وعلى علاقة ب ( حديثو ) . كانت الملايين . في بدايتها . ذات اتجاه وطني الا انه غير يساري . ولم تخل من مدح الملك في احيان كثيرة . وازدادت جراتها بالتدرج . . بدأت بالدفاع عن المسجونين السياسيين

خلال موضوع يتعلق بالملك . وسرعان ما تخطت « الملايين » الحد الفاصل بين الصحيفة الوطنية : والصحيفة ذات الصبغة الوطنية الطبقية اليسارية .

وما كان محل دراسة د. رفعت هو أعدادها الثلاثون ، قبل ثورة يوليو ، الصادرة من ٢٢ / ٥ / ١٩٥١ الى ٢٦ / ١٢ / ١٩٥١ ، التي تعرضت خلالها ، ككل الصحف الوطنية خاصة ذات الصبغة اليسارية ، الى المصادرة ، كما تعرض رئيس تحريرها للملاحقة والمحاكمة والحال هكذا . بالاضافة الى سوء الادارة المالية ، تعرضت « الملايين » لازمة مادية .. اعانتها « حديثو » بمبلغ ثلاثين جنيها أسبوعيا ، إلا أن هذا الدعم لا يمكن أن يكون دعما فعلا ، فاخذت صفحاتها في التناقص .

وتدرجت نوعية المشاركين في التحرير من معتدلين تمثلوا في ( مأمون الشناوي .. أحمد صادق عزام .. سيد قطب .. سيد قنديل ) الى أعضاء من ( حديثو ) مثل « محمد يسري أحمد » ومن ( طليعة العمال ) مثل : ( محمود العسكري ) .

ومع العدد الخامس بدأت « حديثو » بالسيطرة الكاملة على التحرير والتوزيع .. تتوزع أسماء كوادرها على صفحاتها : ( حسن عبد الرحمن .. عبد المنعم الغزالي .. زكي مراد .. إبراهيم عبد الحليم .. سيد خليل ترك .. محمد يسري أحمد .. أحمد رفاعي .. حليم طوسون .. عمر رشدي .. محمد علي عامر .. ضياء بدر .. صلاح جاهين .. العزب شطي زهدي .. أنجي أفلاطون .. حسن فؤاد ) . وبالإضافة الى إخوة سودانيين من حستو ( الحركة السودانية للتحرير الوطني ) مثل : ( عوض عبد الرازق ) .

وامتازت ( الملايين ) عن الصحافة اليسارية بتنوع موادها ، فقد اشتملت على أبواب للفن . وللثقافة . وللرياضة . كما كانت مدرسة

جديدة للكاريكاتير السياسي الذي تآلق فيه ( زهدي ) بالإضافة الى تعليقاتها اللاذعة على صور فوتوغرافية كصورة للقائد الامريكي « ماك ارثر » يرفع يده بالسلام تحتها تعليق . . ( سلام على كوريا ) . ومن ناحية الموضوعات ، فقد كان لها اهتمام خاص بقضايا العمال خاصة في عددها الثامن عشر . وكان لها شبكة كبيرة من المراسلين تغطي اقاليم مصر ، وتقربها من مشاكل الجماهير ، وقضاياهم الملحة ، وتستشعر نبضهم وكان ذلك تحت باب ( قبلي وبحري ) .

واكثر ما يثير إعجاب د . رفعت السعيد في « الملايين » هو :

« هذه النكهة المفعمة بالتحدي الاجتماعي . . وهي وان لم تبرز فيها معاني الصراع الاجتماعي بمفهوم اليساريين في هذا العصر فانها توحى بفهم صحيح للربط بين مشاكل الوطن الثالث : التحرر الوطني والتحرر الاجتماعي ومعهما حرية الرأي والقول ، وترابط هذه القضايا معا في كل واحد ، وهذه نظرة بالغة الرقي في فهم هذه المشكلات معا وفي فهم كل منها على حده » .

اما اهم ما جاء على صفحات ( الملايين ) من موضوعات . فهو فضح مخطط استعماري جاء بكتاب : ( آبار القوة ) للمؤلف الانكليزي : « اولاف كارو » ، يعتبر هذا المخطط معاصرا ، وقد جرت خلال السبعينات ، وما تزال ، محاولات لتنفيذه . . تتلخص في :

١ - عقد ميثاق بين دول الاقليم الممتد من الخليج العربي حتى ساحل البحر المتوسط .

٢ - إدماج إسرائيل في هذا الميثاق ، فيعقد العرب الصلح معها ويعترفون بها .

٣ - عقد معاهدة دفاع مشترك جماعية مع الدول ذوات المصالح في الإقليم .



وكان دفاع « الملايين » عن الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للجماهير مرتبطا دوما بمعركة التحرر من الاستعمار الانكليزي .

( انكلترا تحارب مشروع الحد الادنى من الاجور ) هذا . وتتنظم اعداد ( الملايين ) عدة محاور اساسية :

● الموقف من الوفد وحكومته وممارساته :

يتكشف موقف ( الملايين ) من ( حزب الوفد ) في لحظة يحظى فيها بأقصى تأييد شعبي منذ توليه السلطة في هذه المرحلة . . بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ . . حيث تنشر :

( لقد انخدع الشعب من موقف الحكومة ومن خطب سراج الدين وتصريحات صلاح الدين . . لقد انخدع واعتقد أن حكومة الوفد ستقود بصدر رحب الكفاح الثوري للشعب المصري ولكن الفرح الشعبي قد تبدد ، وانخداع الشعب بحكومة الوفد لم يستمر لان الشعب أدرك من خلال خبرته الذاتية ان حكومة الوفد غير جادة على الاطلاق في اتخاذ مواقف ايجابية من الاستعمار البريطاني في قناة السويس والسودان والشركات الاستعمارية واوكر الجاسوسية البريطانية ولان حكومة الوفد غير جادة في اتخاذ موقف ايجابي من أمريكا التي تزحف يوميا لتحتل مكان بريطانيا ، أمريكا التي ربطتنا بعجلتها الاستعمارية عن طريق مشروع النقطة الرابعة ) .

● القضية الوطنية والموقف من القوى الاستعمارية وقضية الدفاع من السلام العالمي :

يتضح مفهوم « الملايين » للمعركة الوطنية ضد الاستعمار ، في ارتباطها بالوعي الطبقي من خلال ما نشر بأحد أعدادها :

( ... ونداءات سراج الدين ووزير الشؤون الاجتماعية بنسيان المطالب الاقتصادية للعمال والفلاحين والطلبة في هذه الفترة جزء من خطة التمييز للحركة الوطنية ، لان الكفاح ضد الاستعمار مرتبط تماما بكفاح الطوائف المختلفة من أجل مطالبها الاقتصادية ، فالفلاحون لا يمكن ان يكونوا من جنود الكفاح ضد الاستعمار الا اذا ضمنوا اصلاحا زراعيا شاملا بعد التحرر بوضع قانون لتوزيع الارض وتخفيض الاجارات واصدار قانون بالسماح للاجراء الزراعيين والفلاحين بتنظيم انفسهم في نقاباتهم واتحاداتهم والعمال يمكن ان يلعبوا الدور القيادي للحركة الوطنية اذا كان من ضمن برنامج التحرر تأميم الشركات الاستعمارية وضمنان حياة انسانية سعيدة بعد التحرر . ان سراج الدين يريد ان يدخل في روح الجماهير الكادحة ان هناك تناقضا بين الكفاح ضد الاستعمار والكفاح من أجل رفع مستوى المعيشة للشعب المصري ) .

كما يتأكد مفهوم « الملايين » للمعركة الوطنية ضد الاستعمار ، في ارتباطها بحركة التحرر العالمي من خلال ما نشر على صفحات العدد ٢٧/١٠/١٩٥١ ، من بريقيات تأييد ، لنضالنا ضد الاستعمار ، وردت من عدة هيئات دولية تحت عنوان : ( شعوب العالم تؤيد مصر في نضالها ضد الاستعمار ) :

( اتحاد الطلبة العالمي ) و ( مجلس النقابات العراقية ) و ( الاتحاد العالمي للنقابات ) و ( انصار السلم في لبنان ) و ( الاتحاد العام العالمي للشبيبة الديمقراطية ) و ( الاتحاد العام الفرنسي للنقابات ) و ( انصار السلم في سوريا ) و ( اهالي فلسطين ) و ( المحامين السوريين ) .

وكان نشر بريقيات التأييد هذه دلالة حية على امكانية الاعلام كسلاح نضال فعال ، فلهذا الاسلوب فعالية في اذكاء روح النضال .

● الموقف من القضايا العمالية والعمل وسط العمال :

في العدد الاخير ٣٠ من ( الملايين ) ١٩٥١/١٢/٢٦ يكتب ( محمد علي عامر ) تحت عنوان ( العمال في نضالهم من أجل حقوقهم من أجل التحرير ) :  
 « ان الطبقة العاملة المصرية يجب ان تلعب دورها البطولي في التحضير لمؤتمر الشرقيين الادنى والاوسط وشمال افريقيا لان نجاح المؤتمر يعني نجاح العمال في قيادة الشعب في الصراع الوطني الديمقراطي ان الفئات الشعبية ستلعب دورا لانجاح هذا المؤتمر وعلى الطبقة العاملة ان تدعم قيادتها السياسية لهذه الفئات بدورها الجبار في التحضير لمؤتمر شعوب الشرقيين الادنى والاوسط وشمال افريقيا . »

### ● قضية الحريات والدفاع عن الديمقراطية :

ركزت « الملايين » دفاعها عن الديمقراطية والحريات العامة في شقين :

- ١ - مقاومة التشريعات المقيدة للحرية .
- ٢ - الدفاع عن المسجونين الشيوعيين والمطالبة بالافراج عنهم .

وقد خصصت ( الملايين ) العدد ١٥ ( ١٩٥١/٧/٢٩ ) لادانة كافة التشريعات المقيدة لحرية الصحافة وابداء الرأي ، في حملة عنيفة ، خاصة على قانون ( اسطفان باسيلي ) ، حشدت لها اقلاما كثيرة من مختلف الاتجاهات ، وأهم ما يميز هذه الحملة هو ربطها بالنضال ضد الاستعمار العالمي ، والبريطاني لمصر بشكل خاص ، وهي بهذا قد ساهمت مساهمة فعالة في سقوط تشريعات الصحافة المقيدة لحرية الكلمة .

وعلى صفحات اغلب اعداد « الملايين » كانت هناك معركة ضارية .. مستمرة .. لا تهدأ من أحل المسجونين الشيوعيين ، وضد البوليس السياسي ، نقرأ على صفحات العدد ٦ ( ١٩٥١/٥/٢٧ ) :

( في الاسبوع الماضي نشرت الملايين تفاصيل جريمة قتل خطيرة ترتكب في سجن مصر . . . أهون كثيرا من الجرائم التي لاتزال ترتكب ، والملايين تتحدى النائب العام مرة اخرى ان يحقق في هذه الجرائم ) .  
و . . . .

« ان البوليس السياسي أقوى حتى من . . . . فعرض الآنسات في السجن يهتك بصفة دورية مرتين كل شهر يهتك بعد اخضاع الضحايا بالضرب والسجن و . . . » ..

وكانت الحملة على صفحات ( الملايين ) بمختلف الاساليب ، بالعدد الصادر في ١٩٥١/١٢/٢ قصيدة للشاعر ( فؤاد حداد ) منها :

أ . . في سجن مبني من حجر  
في سجن مبني من قلوب السجانين  
قضبان تمنع عنك النور والشجر  
زي العبيد مترصصين  
في منظر القضبان عساكر الاحتلال  
في فعل سجانك أوامر الانجليز  
السجن اوله في القنال ]

في هذه الابيات وعي تام بالعلاقة بين اعتقال الشيوعيين المصريين والاستعمار . وكان السجنان في رسوم ( زهدي ) ، على صفحات ( الملايين ) هو ( جون بول ) رمز الاحتلال البريطاني في الصحافة المصرية .

### ● الموقف من القضية الفلسطينية :

تناولت « الملايين » قضية فلسطين منذ عددها السادس ( ١٩٥١/٥/٢٧ )  
بنشرها تصريحاً لـ : « حديثو » يدافع عن خط الموافقة على قرار

التقسيم ، لكن عددها الثامن يتضمن موقف « الملايين » الخاص من القضية في الاسطر التالية عن اسرائيل :

« الارض التي لا يعلم حدودها أو معالمها الا يهود العالم ويهود امبراطورية اسرائيل التي يريد اليهود جادين أن تنطوي بلاد العرب تحت لوائها ويومها سوف نندم على أيام ضيعناها في اعتبار هذه الامبراطورية التي يريد اليهود خلقها امبراطورية مزعومة وعندئذ لن يجدي مازعمناه. »

تلك نظرة ذات صبغة تنبؤية في مظهرها . . . موضوعية من خلال الاسس العلمية والتحليل التاريخي الامين للظاهرة . . هي نظرة تقدمية ومعاصرة . . عززها دفاع ( الملايين ) عن اليهود المصريين ازاء الاجراءات التي اتخذتها السلطة ضدهم عارضة احدى مآسي اليهود المصريين المتمسكين بمصريتهم :

| وآخر المآسي مأساة نينيت بيلابيس في سجن الاجانب اذ أنهم حاولوا ارغامها على التوقيع على طلب الترحيل ولكنها لم ترد أن تغادر وطنها مصر وظلت متشبثة بأرض السجن . . وأرض الوطن العزيز . |

### ● الجبهة الوطنية

تبدأ « الملايين » حملتها لتأسيس ( جبهة وطنية ) مبكرا منذ العدد ٦ ( ١٩٥١/٥/٢٧ ) مشاركة في الصراع حول هذا الموضوع الذي يعد جوهر اللحظة المصرية التي عاشتها مصر في تلك المرحلة . . في هذا العدد حديث لـ : ( أحمد حسين ) مما جاء فيه :

« اللجنة العليا للحزب الوطني ، ولجنة السلام وبقية اللجان التقدمية . الحزب الاشتراكي ، هذه الهيئات تهدف كلها الى اخراج الانجليز من مصر والسودان وتهدف كلها الى القضاء على الفساد في مصر والى محاربة الطغيان واقرار القواعد الدستورية والديمقراطية وباتت تؤمن بوجود

القضاء على الفوارق بين طبقات المجتمع وهي في الاهداف انما تعبر تعبيراً صادقاً عن مطالب الشعب و ارادته . . . ومع ذلك فان كل هذه الجهود المبذولة لن تؤدي الى أي نتيجة من أي نوع الا اذا تضافرت هذه الهيئات وألفت من بينها جبهة شعبية قومية . . . ستصبح بلا شك هي قائدة الرأي العام . . . وهو لن يقبل بحال من الاحوال أن يسلم نفسه لشخص من الاشخاص أو لحزب من الاحزاب . . . ولكنه مستعد دائماً للسير خلف جبهة قومية تتألف من كل القوى العاملة » .

وفي العدد الصادر في ١٧/٦/١٩٥١ تحدد الملايين موقفها حاسماً من ( الجبهة الوطنية ) والصراع حولها :

( وكل من اعترض طريق هذه الجبهة خائن . . . ادرك ذلك او لم يدرك ، فالخائن المدرك لخيانته والخائن غير المدرك لخيانته يستويان ) .

و . . . بعد العدد الاخير ٢٦/٥/١٩٥١ يسكت « فؤاد سراج الدين » صوت « الملايين » .

وبهذا يكون د . رفعت السعيد قد استوفى دراسته حول الصحافة اليسارية العلنية خلال مرحلة مصرية من تاريخ مصر ( ١٩٥٢/٥٠ ) عارضاً لاهم الافكار المطروحة على صفحاتها ، بالاضافة الى تطور أسلوب عرض هذه الافكار من خلال نضج الممارسة ، وديناميكيته في التعامل مع الواقع الذي اتسم بسرعة التغيير ، بالاضافة الى المرونة والاستجابة الواعية ، واليقظة الحادة لما يمكن أن يطرأ على الواقع من مفاجئات نتيجة لكثرة العوامل وتسارعها المحموم للسيطرة على مقدرات مصر ، وربطهما بالامبريالية العالمية .

وما اشبه تلك المرحلة ، مرحلة الدراسة ، بالواقع المعاش الآن من هنا تتجاوز الدراسة قيمتها التاريخية الى اللحظة في جذورها واحتمالاتها .